جامعة محمد الخامس الرباط

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

معهد الدراسات الإفريقية

تنظيم وتهيئة المجال الريفي بالمغرب: أبحـــاث وتدخـلات

تخليدا للذكرى 10 لتأسيس مجموعة البحث حول الأرياف

أعمال مهداة إلى فضيلة الأستاذ موسى كرزازي

تنسيق

المختار الأكحل - عبدالعالي فاتح - محمد حنزاز

2016

• **الكتاب** : تنظيم وتهيئة المجال الريفي بالمغرب: أبحاث وتدخلات

• **تنسيق** : المختار الأكحل، عبدالعالي فاتح، محمد حتراز

• **الغلاف** : عبد العالي فاتح

• **سلسلة** : ندوات ومناظرات رقم 186

• **الناشرون** : كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المعهد الوطني للتهيئة والتعمير، معهد الدراسات الإفريقية

• **الطبعة** : الأولى 1437هـ/2016م

• **الحقوق** : © كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، المعهد الوطني للتهيئة والتعمير، معهد الدراسات الإفريقية بمقتضى ظهير (1970/07/29)

• **الإيداع القانوني** : 2015MO3786

• **ردمك** : 978-9981-59-325-1

• **الطبع** : مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2016

قراءة في إشكاليات البحث بالمجال القروي
من خلال تجربة مجموعة البحث حول الأرياف

كرزازي موسى* فاتح عبد العالي**

ملخـــص:

تمكنت مجموعة البحث حول الأرياف خلال الفترة (2001-2016) من تحقيق أهم الأهداف التي تأسست من أجلها، بفضل رصيدها الإيجابي المتمثل في خلق وحدة للتكوين والبحث:«**التنمية المحلية وتهيئة المجال الريفي بلدان المغرب العربي**» التي تخرج منها 13 دكتورا، من تأطير أساتذة هذه الوحدة، تسعة منهم يشتغلون حاليا، أساتذة باحثين بجامعات مدن الرباط ومراكش والدار البيضاء وأكادير والجديدة. ونظمت المجموعة أربع موائد مستديرة مقتصرة على خبراء ومختصين جامعيين، وندوتين وطنيتين، وندوة دولية حول قضايا راهنية. واصدرت المجموعة سبعة كتب عالجت قضايا منهجية، وتعمقت في دراسة المجالات المغربية والمجتمع المغربي وإشكاليات عالمية. وتعميما للفائدة تم إصدار أربع أطروحات من طرف أعضاء المجموعة، الأساتذة المشرفين على تأطير أبحاث الدكتوراه في وحدة البحث والتكوين.

كلمات مفتاحة: حصيلة ورصيد علمي تربوي، وحدة الدكتوراه، موائد مستديرة، ندوات، نشر كتب وأطروحات دولة.

Résumé :

Durant plus d'une décennie de recherche scientifique (2001-2016) le Groupe de Recherche sur le Monde Rural (GREMR) a pu réaliser ses principaux objectifs. Il a créé une unité de formation et de recherche : «Développement Local et Aménagement du Milieu Rural dans les pays du Grand Maghreb». Le bilan du GREMR est positif, grâce à la formation de 13 Docteurs, lauréats de l'UFR, inscrits ou encadrés par les professeurs de cette structure, dont 9 sont actuellement professeurs universitaires, au sein des diverses universités dans les villes de Rabat, Marrakech, Casablanca, Agadir et El Jadida.

Le GREMR a organisé quatre tables rondes, deux colloques nationaux et un colloque international sur des thématiques d'actualités. Il a publié sept ouvrages traitant des problématiques méthodologiques, celles de l'espace rural et la société marocaine, ainsi que des problématiques universelles. En vue de vulgariser la connaissance en matière de la géographie, les professeurs encadrants ont publié leurs thèses d'Etat.

Mots clés : Bilan scientifique et pédagogique du GREMR- Unité de formation et de recherche, tables rondes et colloques, publications des ouvrages et thèses d'Etat.

---

* أستاذ باحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، عضو مؤسس ومنسق مجموعة البحث حول الأرياف (2001 - 2015).

** أستاذ باحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، عضو مؤسس لمجموعة البحث حول الأرياف (منسق المجموعة ابتداءا من 2015).

تمهيد

نسعى من وراء تحرير هذا المقال التركيبي، تقديم تقييم وتقويم لحصيلة عمل مجموعة البحث حول الأرياف، المتمثل في نشاطها العلمي والتربوي والاشعاعي، الذي سيحظى بفضول الباحثين والمشتغلين بقضايا العالم القروي في علاقته بالحواضر، للاطلاع عليه، وذلك بمناسبة الاحتفال بذكرى تأسيسها منذ فاتح أكتوبر 2001 بكلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس بالرباط.

وقد اعتمدنا منهجيا في تحرير هذا المقال على أرشيف المجموعة منذ تأسيسها، بفضل محتويات موقعها الإلكتروني[1]، ومطوياتها، مع قراءة معمقة لمختلف الكتب المنشورة، لاستخراج أهم الاشكاليات والأفكار. وتعتبر هذه الحصيلة دليلا مختصرا يسهل على الباحثين الاطلاع على محتوياتها خلال 14 سنة من عمر المجموعة.

أولا: حيوية فريق البحث لتحقيق الجودة ورفع التحدي

تمكنت «**مجموعة البحث حول الأرياف**» من رفع التحدي أمام قلة الإمكانيات المادية واللوجستيكية المتوفرة في الجامعة المغربية، بفضل المراس والمواظبة على العمل، والتنسيق المحكم بين أعضاء فريق البحث، والوعي بالمسؤولية الملقاة على عاتق الباحث الجامعي في الميدان التربوي، والتأطير الجدي لرفع مستوى تكوين الطالب الجامعي، وتحقيق جودة البحوث، وتأهيل الباحثين عبر تشجيعهم على الخلق والابتكار والإبداع. إضافة إلى كل ذلك، أهمية التفتح المبكر لمجموعة البحث على المحيط الاقتصادي والاجتماعي للجامعة، وأساسا، ربط الاتصال بالمجتمع المدني، والسعي لعقد شراكات مع جمعيات تنموية مهتمة بتنمية العالم القروي ك«جمعية تنمية عالم الأرياف ADMER»، والاتحاد الدولي الجغرافي UGI-CDDSR، وجامعات فرنسية كجامعة دومين لومان (Université du Maine, Le Mans).

لقد حققت مجموعة البحث نتائج مرضية بفعل دينامية أعضائها، وقناعتهم بأهمية العمل الجماعي في إطار فريق منسجم. لذا، فقد اكتسبوا مهارات، وتدربوا على أدوات عمل بحث حديثة، واستوعبوا مقاربات جديدة، وعالجوا قضايا وإشكاليات كبرى تهم المجتمع في تفاعله بالمجال، توجوها بتقديم دراسات سوسيو-اقتصادية ومجالية-اجتماعية تهم تهيئة وإعداد التراب، ومنها «**دراسة تطبيقة حول إعادة هيكلة وتأهيل دوار آزرو بدائرة تاحناوت**»، لفائدة جمعية تنمية عالم الأرياف، في إطار المبادرة الوطنية للتنمية البشرية بإقليم الحوز، قصد تعميم تطبيق التجربة على بقية دواوير الأطلس الكبير. وبذلك، أصبحت المجموعة قوة اقتراحية تسهل على المسؤولين اتخاذ القرارات الصائبة.

---

1. من أجل التواصل بفعالية مع المحيط الأكاديمي الخارجي، خلقت المجموعة موقعا إلكترونيا عهد للأستاذ فاتح عبد العالي، كخبير تمرس في ميدان الإعلاميات، بمهمة هيكلته وتتبعه وتطويره، بتنسيق مع منسق المجموعة.3w.gremr.ma

كما ساهم أعضاء من مجموعة البحث في إطار برامج تنموية بمبادرة من أعضاء «جمعية تنمية عالم الأرياف، ADMER» في وضع مشروع تنموي مندمج يهم مثلث دمنات بإقليم أزيلال سنة 2012، يقضي بفك العزلة عن مجموعة من الدواوير، وتهيئة القطاع المسقي بوادي الأخضر. وبطلب من الجمعية المذكورة، وتعزيزا لقدرات الموارد البشرية للمناطق الجبلية، أطر أعضاء من المجموعة [2] ورشات في التهيئة والتنمية القروية ونظم المعلومات الجغرافية، لفائدة أطر وتقني الجماعات القروية لإقليم الحوز (مجموعة صور من 1 إلى 4).كما تم تقديم إقتراحات تهم التهيئة وإعداد التراب لحل مشاكل بعض الجماعات القروية كأنوكال (دائرة أمزميز).

صورة 1 - 2 : ورشة تكوين في **نظم المعلومات الجغرافية** (الدورة الأولى، يونيو 2009) تاحناوت

صورة 3 - 4: ورشة تكوين في **التنمية القروية** بتاحناوت 1 - 5 مارس 2010.

وفي إطار استراتيجية مجموعة البحث، اعتبر تأسيس وحدة تربوية للتكوين والبحث تابعة لمدرسة الدكتوراه بالكلية، حول موضوع «**التنمية المحلية وتهيئة المجال الريفي ببلدان المغرب العربي**»، ثمرة جهود الأساتذة المؤسسين لها، والمشرفين على أبحاث طلبتها والمؤطرين لهم[3]. وجدير بالتذكير، بأن

---

2. بطلب من جمعية أدمر، نظمت ورشة التكوين في نظم المعلومات الجغرافية (الدورة الأولى يونيو 2009، والدورة الثانية 1-5 مارس 2010، بتاحناوت، إقليم الحوز) أطرها أ. عبدالعالي فاتح، وورشة التكوين في التنمية القروية بتاحناوت 1-5 مارس 2010، أطرها أ. موسى كرزازي.
3. تجدر الإشارة إلى أهمية خلق وحدة التكوين والبحث: «التنمية المحلية وتهيئة المجال الريفي بلدان المغرب العربي» التي كان ينسقها الأستاذ محمد آيت حمزة، ويؤطرها الأساتذة المختار الأكحل ومحمد الأسعد وموسى كرزازي كفريق يشرف على بحوث الدكتوراه.

الطلبة الباحثين بمدرسة الدكتوراه بالوحدة المذكورة، قد تمكنوا من إنجاز أبحاثهم في المحاور التنموية التي حددتها مجموعة البحث حول قضايا العالم القروي وضواحي المدن الكبرى. ففي إطار تهيئ أطروحاتهم عالجوا إشكاليات ومواضيع لها راهنية، تركزت على التنمية الجبلية، والسياحة الريفية، والمرأة والمجتمع القروي، وضواحي العواصم في علاقتها بتمدن الأرياف، ومقاربات المنتوجات المحلية...

في هذا الصدد، تخرج 13 دكتورا تكونوا في الوحدة التابعة لمجموعة البحث حول الأرياف، وأصبح معظمهم أساتذة جامعيين بمختلف الجامعات المغربية: القاضي عياض بمراكش، إبن زهر بأكادير، جامعة الحسن الثاني بالدار البيضاء، جامعة محمد الخامس بالرباط وشعيب الدكالي بالجديدة، بعد توفقهم في النجاح، عن جدارة واستحقاق، في المباريات الوطنية للالتحاق بالتعليم العالي (جدول بملف الذكرى 10 حول الرصيد البيداغوجي للمجموعة). وهذا يؤكد متانة التكوين الجامعي للباحثين المتخرجين المؤطرين عن قرب، بنخبة من الأساتذة.

لقد تميز هذا العقد بعطاء علمي وبيداغوجي نعتز به، بفضل انفتاح مجموعة البحث حول الأرياف، على فضاءات علمية وجمعوية في الداخل والخارج. وساهمت في تحريك نقاشات معمقة حول قضايا البحث المرتبطة بدينامية الأرياف المغربية، عبر تنظيم عدة ندوات علمية وطنية ودولية وموائد مستديرة، فضلا عن المناظرات التكوينية الدورية لفائدة طلبة الدكتوراه، بمراكش والرباط والدار البيضاء. وقد حظيت هذه الأنشطة العلمية والبيداغوجية باهتمام كبير من لدن الأساتذة والطلبة الباحثين وجل المهتمين بالعالم القروي.

على **مستوى التأليف**، ورغم ضعف الإمكانيات، فبفضل دعم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، وفي إطار شراكتها مع مؤسسة كونراد أديناور، ساهمت المجموعة في إغناء الخزانة والمكتبة الجغرافية بعدة منشورات، استفاد منها الطلبة والباحثون؛ منها سبع مؤلفات جماعية، وأربع أطروحات دولة، عالجت كلها إشكاليات تهم تنمية وتهيئة العالم القروي العميق وضواحي المدن الكبرى (نسخ في ملف الذكرى العاشرة).

ثانيا: قراءة في الإشكاليات المعالجة بمنشورات «مجموعة البحث حول الأرياف»، وبعض أبحاث الدكتوراه في الجغرافيا

عالجت «مجموعة البحث حول الأرياف» عدة إشكاليات علمية وتربوية، انطلاقا من الحاجيات الملحة للطلبة الباحثين من الشباب في مجال المنهجية. فأمام الخصاص الكبير في مراجع التخصص الجغرافي في مجال الأرياف حول هذا الموضوع ومواضيع أخرى باللغة العربية، وضعف مستوى الطلبة في اللغات الأجنبية، خاصة الفرنسية، تعذر على معظمهم الاطلاع على المراجع والاستفادة منها باللغات الأجنبية. ولعل هذا المشكل، كان يعاني منه أيضا الأساتذة المدرسين لمادة المنهجية ومجزوءات

الأرياف، الذين لا يجدون مراجع كافية ومحينة بالعربية، مما يضطرهم الاعتماد على مراجع باللغات الأجنبية، وبذل مجهود كبير في ترجمة النصوص من الفرنسية إلى العربية، في شبه غياب المراجع الأساسية بلغة التدريس في شعب الجغرافيا.

في هذا الصدد، أخذت مجموعة البحث على عاتقها مسؤولية المساهمة في معالجة مواضيع الساعة، وإشكاليات مرتبطة بتنمية وتهيئة العالم القروي، وفق الأولويات التي عبر عنها الباحثون وطلبة الإجازة بجامعة محمد الخامس، بل حتى من جامعات أخرى، والقضايا الكبرى المطروحة على الساحة العلمية. إن الانكباب على حل مشكل الخصاص التربوي والعلمي في المراجع بلغة التدريس، كان هاجسا، ظل يشغل بال المؤسسين للمجموعة منذ تأسيسها. ولذا تم التنصيص من ضمن أهداف خلق مجموعة البحث حول الأرياف في فاتح أكتوبر 2001، على ضرورة نشر كتيبات جامعية تلبي حاجيات الطلبة والباحثين، وتواكب التحولات المجتمعية والتطورات الابستيملوجية للتخصص، مع تحيين المعطيات والتحاليل لحل معضلات عالم الأرياف.

ويمكن تلخيص المواضيع والإشكاليات المعالجة علميا وفق أهداف المجموعة خلال العشرية التي احتفلت بها في المحاور التالية (ملحق المنشورات وأنشطتها العلمية والتربوية) :

- منهجية البحث والمقاربات بالوسط القروي؛
- الجغرافية التطبيقية؛
- المرأة القروية: مقاربة النوع، وميزانية الوقت في الأرياف المغربية؛
- دينامية المجالات الفلاحية، ومقاربة المنتوجات المحلية (الفلاحية، السياحية) في علاقتها بالتنمية؛
- تمدن الأرياف في علاقتها بتطور ودينامية الضواحي؛
- البحث الجغرافي: الحصيلة والآفاق؛
- نشر أربع أطروحات دولة (الأعمال العلمية) لمؤطري وحدة التكوين والبحث «التنمية المحلية وتهيئة المجال الريفي في بلدان المغرب العربي».

1. المنهجية والمقاربات

من الأسباب التي دفعت مجموعة البحث إلى التفكير في تنظيم أول مائدة مستديرة حول المنهجية، هو الطلب الكبير على هذا الموضوع الحيوي، لحل معضلة الباحث الشاب في رسم خارطة طريق البحث، وكيفية الوصول إلى نتائج علمية موثوق بها. على هذا الأساس، نظمت المجموعة مائدة مستديرة بمراكش سنة 2003، أحتضنتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، وساهم فيها عدد من الباحثين المتمرسين، معظمهم من الجغرافيين (أرياف، مدن، جيومرفولوجيا) وتخصصات في العلوم الإنسانية (علم الاجتماع القروي، وعلم النفس...). وبذلك فقد تمكن الجغرافيون من الاحتكاك بباحثين مختصين في علوم مجاورة، لمعالجة مناهج البحث في الوسط الريفي المغربي.

وقد تم تدوين تجارب الباحثين في إنجاز أطروحات الدولة (الدكتوراه) وأبحاث ميدانية. وقدمت نماذج مبسطة ملموسة منبثقة من تجارب عملية في الميدان. وفي مرحلة ثانية، تم جمع وتصحيح ومراجعة المداخلات، ونشرت أشغال المائدة المستديرة التي ضمت إثنا عشر مقالا، وتقديم باللغتين، العربية والفرنسية.

وكم كانت فرحتنا عظيمة عندما وصلتنا اصداء إيجابية، حول التجاوب الكبير مع محتوى كتاب المناهج في الوسط الريفي، الذي لقي رواجا واسعا في الأوساط الطلابية بالجامعات المغربية. مما يؤكد حاجة الطلبة لمثل هذا المرجع الأساس، الذي ينطلق منه الباحث المبتدئ، للتعرف على منهجية البحث ومراحله من البداية إلى النهاية، عبر التعرف على المناهج العلمية الكمية والكيفية والتجريبية، المقاربة العلمية، أهداف البحث، الإشكالية، الفرضية، المفاهيم، التصميم، الخلاصات، مع تقديم نماذج ملموسة لباحثين عرضوا تجاربهم وكيفية إنجازها بكل تفاصيلها. ويعتبر هذا الكتاب[4] نبراسا لكل باحث جغرافي ولكل الباحثين في العلوم الانسانية والاجتماعية بالجامعة وخارجها.

2. الجغرافية التطبيقية

بفضل ما وفرته كلية الآداب بالرباط من برامج بحث لتشجيع فرق البحث، مدعمة ماديا بشراكة مع مؤسسة كونراد أديناور، نظمت مجموعة البحث حول الأرياف مائدة مستديرة بمراكش سنة 2004، احتضنتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس حول الجغرافيا التطبيقية في المغرب. وتم اختيار هذا الموضوع في سياق وطني ودولي اتسم بالنقاش المثمر، حول طبيعة البحث الجغرافي العلمي، هل يظل حرا يهم الباحث (استقلالية الباحث) أم يتم تحت الطلب (من طرف وزارة، جماعة محلية، مؤسسة...)؟ ومن هذا المنطلق، ساهم الباحثون في تعميق الإشكالية ومعالجتها، عبر التطرق إلى تاريخ الجغرافيا كمادة من مواد الاجتماعيات (مصاحبة للتاريخ)، والتطور الجديد الحاصل بعد انغلاق الآفاق امام خريجي الجامعات، بعد تقليص عدد المناصب التعليمية المخصصة للاجتماعيات. وكذلك ظهور إشكاليات جديدة تعتمد على المقاربة الترابية وإعداد التراب والتهيئة والتنمية. كل هذا أدى إلى خروج الجغرافي من أسوار الجامعة ومشاركته في مشاريع التنمية (تصاميم التهيئة، التصميم الجماعي للتنمية...)

---

4. كرزازي موسى وآيت حمزة محمد (تنسيق ومراجعة)، 2004، «مناهج البحث في الوسط الريفي المغربي»، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 113، (مؤلف بالعربية والفرنسية، 212 ص).

-KERZAZI Moussa et AIT HAMZA Mohamed (Coordinateurs), 2004, Méthodes de recherche dans le monde rural marocain, Publication de la Fac. Lettres et des Sciences Humaines, Univ. Mohammed V, Rabat, Série : Colloques et séminaires, n° 113, (Ouvrage en arabe et français, 212 p).

وقد توج هذا العمل بنشر أشغال المائدة المستديرة في كتاب ضم 12 مقالا متنوعا حول نماذج من الدراسات التطبيقية لجغرافيين وباحثين مارسوا هذا النوع من الدراسات التطبيقية[5].

3. المرأة القروية (دراسة ميدانية: حالة عين عتيق بضواحي الرباط-تمارة، وحالة بأرياف أبي الجعد)

نظرا لأهمية موضوع المرأة بصفة عامة، والمرأة القروية بصفة خاصة، انصب اهتمام الباحثين على موضوع مقاربة النوع الذي ركزت عليه الأمم المتحدة والمجتمع المدني، من أجل فسح المجال للمرأة، وتثمين عملها كعاملة مشتغلة. وتجدر الاشارة في هذا الصدد إلى بحثين أنجزا في إطار تحضير الدكتوراه كبحث تكميلي للبحث الأساسي (سنة 2000) وعلى أساسه تم تحيين البحث وإغنائه ببحث ميداني بضاحية الرباط تمارة (2004)[6]. وقد اعتمد البحث على مقاربة جديدة تهم تثمين عمل المرأة عبر مقاربة ميزانية الوقت. في هذا الإطار تم إنجاز بحث ميداني حول المرأة الريفية، مركزا على الجماعة القروية «عين اعتيق»، بضاحية الرباط تمارة. وقد أظهرت خلاصات البحث الميداني، بأن المرأة تشتغل طول اليوم بدون حساب، رغم انها تصرح، هي نفسها خلال إجراء البحث، أو يصرح زوجها، بأنها ربة بيت، ولا تشتغل.

كما أنجز بحث في السوسيولوجيا القروية (شعبة علم الاجتماع) المؤطر بوحدة الدكتوراه المرتبطة بمجموعة البحث حول الأرياف، وهي أطروحة دكتوراه نوقشت بوحدة البحث والتكوين حول المرأة القروية بأرياف أبي الجعد[7] .

4. دينامية المجالات الفلاحية

هذا الموضوع مرتبط بالتحولات الجديدة بالعالم الريفي، يؤكده تباين المشاهد الريفية من جهة إلى أخرى، ومن مجال إلى آخر. وهو انعكاس لتطور المجالات واختلاف سرعة النمو والتطور والتحول، بين ساحل يتطور بسرعة، وعمق مجالي يسير ببطء؛ مما يعكس تباينا في الجهات بين المجالات والمجتمعات.

---

5. كرزازي موسى وأيت حمزة محمد (تنسيق ومراجعة)، 2005، «الجغرافية التطبيقية بالمغرب»، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 122، (مؤلف بالعربية والفرنسية، 197 ص).

-AIT HAMZA Mohamed et KERZAZI Moussa (Coordinateurs), 2005, Géographie appliquée au Maroc, Publication de la Fac. Lettr. et des Sciences Humaines, Univ. Mohammed V-Agdal, Série : Colloques et séminaires, n°122, Rabat, (197 p).

6. KERZAZI Moussa et AGOUMY Taoufik, 2004, Structures sociales et femme rurale au Maroc, Publication de la Fac. Lettr. et des Sciences Humaines, Univ. Mohammed V, Rabat ; Série : Essais et Etudes n° 39, (118p).

7. حسن ضياء، المرأة القروية في مناطق البور: رأسمال بشري من أجل التنمية الريفية، حالة ابي الجعد (إقليم خريبكة)، شعبة الفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع، كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، جامعة محمد الخامس أكدال، 2008، أطروحة غير منشورة.

ولعل الهجرة القروية وانعكاساتها المجالية والاجتماعية والعمرانية، هي أحد المظاهر التي تبرز هذا التباين في الموارد الطبيعية والبشرية والتجهيزات الاساسية والخدمات. وقد تم في هذا الإطار، عقد ندوة وطنية حول ديناميات المجالات الفلاحية بالمغرب، ساهم فيها عدد من الباحثين، توجت بنشر اشغالها في مؤلف ضم 18 مقالا، لباحثين من عدة جامعات مغربية[8].

5. إشكالية تمدن الأرياف وضواحي المدن الكبرى

تمدن الأرياف هو عنوان كتاب «مستفز». لكنه متعمد؛ فهو يعبر عن اجتياح الاسمنت المسلح للأرياف، خاصة مع تعزيز البنيات التحتية وانتشار التجهيزات الأساسية بالعالم القروي، المتمثلة في الكهربة القروية، والتزود بالماء الصالح للشرب، وشق الطرق وتعبيدها، وتنويع الأنشطة الاقتصادية المدرة للدخل. مما أدى إلى اكتساح المباني للأراضي الفلاحية الخصبة عبر الجبهات العمرانية، وتبخيس العمل الفلاحي. وهو ما نتج عنه نزوح قروي وهجرة ريفية مكثفة نحو المدن والاستقرار بها أو بضواحي المدن الكبرى، كالدار البيضاء والرباط وفاس...وقد طرحت إشكاليات جديدة ارتبطت بالضواحي[9]، وبالسكن غير اللائق، والنقل والشغل. في هذا الصدد، فطنت «مجموعة البحث حول الأرياف» إلى إشكالية الضواحي، في علاقة جدلية مع تعمير الأرياف، بتنظيم مائدة مستديرة بمراكش سنة 2008، حول الموضوع، احتضنتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط. وقد ساهم فيها عدد من الباحثين المختصين في الموضوع. وتوجت بنشر اشغالها في مؤلف حول تمدن البوادي، ضم محورين أساسين : التحضر بمجال الأرياف المغربية، والتحضر بالأرياف الفرنسية. وقد ضم الكتاب المنشور 11 مقالا مع تقديم عام بالعربية والفرنسية[10]. وقد لقي المؤلف رواجا وإقبالا من قبل الباحثين والباحثات، سواء خلال فترة إقامة المعرض الدولي للكتاب بالدار البيضاء أو بمختلف المعارض المقامة دوريا بالجامعات المغربية، أو اقتناؤه من مصلحة النشر والبيع بالكلية؛ مما يعني حاجة الباحثين وذوي القرار لهذا المنتوج العلمي التطبيقي.

---

8. كرزازي موسى والأكحل المختار (تنسيق)، دينامية المجالات الفلاحية بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 121، (مؤلف بالعربية والفرنسية، 400 ص).

KERZAZI Moussa et LAKHAL Mokhtar (Coordinateurs), 2005, Dynamique des espaces agricoles au Maroc, 2005, GREMR, Pub. FLSH, Univ. Mohammed V-Agdal, Série : Colloques et séminaires, n°121, 400 p. (Articles en arabe et en français).

9. فاتح عبدالعالي، آليات وأشكال التوسع الحضري وانعكاساته على تمارة وضاحيتها، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، وحدة التكوين والبحث «التنمية المحلية وتهيئة المجال الريفي بلدان المغرب العربي» شعبة الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، السنة الجامعية 2013، 340 ص(غير منشورة).

سالم تالحوت، الأنشطة غير الفلاحية ودورها في التنمية الريفية بضاحية الدار البيضاء الكبرى، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الجغرافيا، جامعة محمد الخامس أكدال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية أكدال الرباط، (2012)، (غير منشورة).

10. كرزازي موسى (تنسيق)، 2010، تمدن البوادي بالمغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 162، (مؤلف بالعربية والفرنسية، 207 ص).

KERZAZI Moussa (Coordinateur), 2010, Urbanisation des Campagnes au Maroc, Pub. FLSH, Univ. Mohammed V, Rabat, Série : Colloques et séminaires, n°162, 207 p. (Articles en arabe et en français).

6. المنتوجات المحلية (الفلاحية، السياحية) في علاقتها بالتنمية

تنبهت مجموعة البحث حول الأرياف إلى أهمية الانفتاح أيضا على منظمات علمية دولية لها وزنها العالمي، فبادرت إلى الاتصال بالاتحاد الجغرافي الدولي، عبر «لجنة التنمية المستدامة والأنظمة الريفية» (CDDSR-UGI). وبفضل الموافقة المبدئية لهذا الإتحاد الدولي على تنظيم لقائه العلمي السنوي بالمغرب، قامت «مجموعة البحث حول الأرياف» بجامعة محمد الخامس بالرباط، عبر منسقها، بتوسيع التنسيق ليصبح ثلاثيا (ANAGEM-GREMR-UGI). وهو تشريف لكل الباحثات والباحثين الجغرافيين المغاربة، خاصة وأن الحدث تزامن مع الاحتفال بالذكرى الخمسينية لتأسيس جامعة محمد الخامس، شهر يوليوز 2007.

في هذا الصدد، سجل، أنه لأول مرة يشارك الاتحاد الجغرافي العالمي، عبر لجنته المهتمة «**بالتنمية المستدامة والأنظمة الريفية**»، كشريك مع مجموعة البحث حول الأرياف والجمعية الوطنية للجغرافيين المغاربة في تظاهرة دولية مشتركة، ساهمت فيها وفود مكونة من عدة باحثين وباحثات، ينتمون إلى جامعات: كندا، والبرازيل واليابان، وفرنسا، واسبانيا والبرتغال وسلوفينيا وهولندا، وجامعات مغربية وعربية (مصر). ففي إطار تفتح المجموعة على الاتحاد الجغرافي العالمي، تم اقتراح موضوع ندوة دولية احتضنتها كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس أكدال بالرباط، انعقدت بالرباط خلال أسبوع، في شهر يوليوز 2007، توجت برحلة علمية ناجحة لشمال المغرب.

وأهمية الندوة العالمية تكمن في موضوعها الذي عالج إشكالية المنتوجات المحلية (الفلاحية، السياحية) في علاقتها بالتنمية، مع ما تفرع عنها من مواضيع وإشكاليات متنوعة عولجت بمقاربات جديدة. والأهمية الثانية، تجسدت في الاحتكاك الذي حصل بين جغرافي العالم النامي والعالم المتطور مع الجغرافيين المغاربة، وما نتج عنه من تبادل الأفكار والمشاريع التنموية في أنحاء المعمور... وكان لعقد هذه الندوة الدولية بالمغرب، والنجاح الذي سجلته على المستوى التنظيمي والعلمي، صدى قوي في الداخل والخارج، خاصة وأنها فتحت المجال للباحثين وللطلبة للمشاركة بالمجان في كل مراحل أشغالها.

والأهمية الثالثة، تمثلت في التحدي الذي رفعته مجموعة البحث مع شركائها، بنشر كتاب جمع 32 مقالا، كمنتوج علمي دولي ذي جودة عالية، صادف إصداره الإحتفال بالذكرى العاشرة لتأسيس المجموعة سنة 2011، عالج مختلف الإشكاليات الريفية بالعالم، بما فيها المغرب. وهو كتاب جامع لأشغال الندوة الدولية[11] ضم مقالات حول المنتوجات المحلية وتسويقها، السياحة القروية، التنمية بالعالم الريفي المتقدم والنامي.

11. KERZAZI Moussa, AIT HAMZA Mohamed et EL ASSAAD Mohammed (Coordinateurs), 2011, Produits agricoles, touristiques et développement local, Pub. ANAGEM, GREMR et CDDSR (UGI) (461p. en Français et Anglais).

وفي نفس السياق، سبق لعدد من خريجي مدرسة الدكتوراه المؤطرين في المجموعة، أن ناقشوا أطروحاتهم حول مواضيع تهم التنمية المحلية انطلاقا من مقاربة منتوجات الرستاق[12]وحول السياحة الريفية[13] .

7. نشر أربع أطروحات (دكتوراه دولة في جغرافية الأرياف) لأعضاء المجموعة

تمكن الأساتذة الباحثون المؤطرون لوحدة التكوين والبحث، النشيطون في مجال البحث بالمجموعة وخارج المجموعة، من نشر أطروحاتهم تعميما للفائدة، مما سينعكس ايجابا على تكوين الأجيال ويغني المكتبة الجغرافية المغربية، وهي مقدمة كالتالي حسب حداثة نشرها:

- **محمد الأسعد**: 2012، اتخاذ القرار لدى الفلاحين في الأنظمة الرعي-زراعية بالبيئات شبه الجافة بالمغرب (دراسة في الإيكولجيا الثقافية)، دار النشر المغربية، 296 ص.

- **المختار الأكحل**: 2004، دينامية المجال الفلاحي ورهانات التنمية المحلية (حالة هضبة بنسليمان)، دار بورقراق، 349 ص.

-KERZAZI Moussa, 2003, Migration rurale et développement au Maroc, Pub. FLSH, UM5A, Série : Thèses et mémoires, N°55, (501p).

-AIT HAMZA Mohamed, 2002, Mobilité socio-spatiale et développement local au sud de l'Atlas marocain (Dadès-Todgha), Pub. L.I.S Verlag Passau, 196 p.

---

12. Mohamed JADAOUI, Les zones de Montagne: approche de développement local (Cas des versants méridionaux du Haut Atlas Occidental, l'UFR: Développement local et aménagement de l'espace rural dans le Grand Maghreb. FLSH Rabat, UM5A, 2008, Thèse de doctorat (non publiée).

- المالكي موسى، التنمية التشاركية للمناطق الجبلية: تثمين المنتوجات المحلية بحوض غيغاية، بالأطلس الكبير الغربي، أطروحة لنيل الدكتوراه في الآداب تحت إشراف الأستاذ كرزازي موسى، شعبة الجغرافيا، مدرسة الدكتوراه: «تهيئة، تنمية وتدبير الأراضي»، كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط ، جامعة محمد الخامس 2014، (غير منشورة).

13. الدكاري عبدالرحمان، السياحة الريفية: مظاهر الإعداد بجهة مكناس تافلالت (حالة مرزوقة وإملشيل)، وحدة التكوين والبحث «التنمية المحلية وتهيئة المجال الريفي في بلدان المغرب العربي»، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، أطروحة دكتوراه، السنة الجامعية 2007- 2008، (غير منشورة).

- حليم عائشة: السياحة القروية والتنمية المحلية باقليم زاكورة، أطروحة لنيل الدكتوراه في علم الإجتماع القروي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكدال، الرباط، 2010، (غير منشورة).

- ELAMMARI Mohammed: La Mise en Valeur Eco-touristique du Complexe des Zones Humides du Bas Loukkos et de la Réserve, Biologique du Merja Zerga. l'UFR : «Développement local et aménagement de l'espace rural dans le Grand Maghreb», FLSH Rabat, UM5A ; (Année 2009-2010, Thèse de doctorat (Non publiée), 246 p.

- BENTALEB Aziz: La dynamique de désertification dans le bassin du Drâa Moyen, Analyse et perspectives. Thèse de doctorat, UFR «Développement local et aménagement de l'espace rural dans le Maghreb», FLSH, UM5A, Rabat, 2008, 306 p. (Non publiée).

8. حصيلة مجموعة البحث حول الأرياف في أرقام

إن حصيلة مجموعة البحث خلال أزيد من عشر سنوات يمكن أن نلمسها من خلال مؤشرات ذات دلالة إيجابية واضحة. فقد وصل مجموع المتدخلين بمقالات إلى حوالي 56 باحثا، أغلبهم باحثات وباحثون جغرافيون. ويشكل الباحثون الأجانب نسبة 54 % والمغاربة 46 % [14]؛

أما على المستوى العلمي، ساهم هؤلاء الباحثون في إنتاج 65 مقالا باللغة العربية والفرنسية والإنجليزية (شكل 1).

مبيان 1: المقالات المنشورة تحت الإشراف العلمي لمجموعة البحث حول الأرياف حسب اللغات (%)

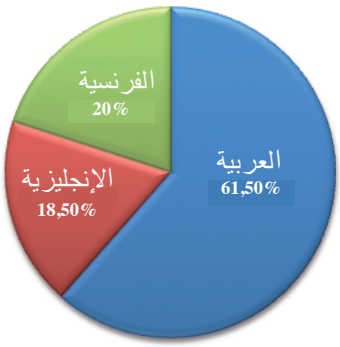

وفي المتوسط، نشرت المجموعة 7 مقالات علمية كل سنة، وقامت بتنظيم ندوة دولية أو وطنية كل 3 سنوات، ومائدة مستديرة كل سنتين. أما على مستوى التأطير العلمي والبيداغوجي، فقد تخرج خلال العشرية الأخيرة 13 دكتورا، بمعدل دكتور كل سنة. واستطاعت المجموعة نشر كتاب كل سنتين. وقد توجت أنشطتها بعقد ندوة علمية حول البحث الجغرافي ونشر أعمالها في هذا الكتاب، ولذا تعتبر التجربة موفقة.

خلاصـــة

بصفة عامة، يعتبر الرصيد العلمي والبيداغوجي الذي أنتجته مجموعة البحث حول الأرياف، وهي تحتفل بالذكرى العاشرة لتأسيسها، فخرا لجامعة محمد الخامس وكلية الآداب والعلوم الإنسانية وشعبة الجغرافيا التي احتضنت المجموعة خلال أكثر من عشر سنوات، وللجامعة المغربية والمعاهد العليا عامة، وهو ما سيساهم مستقبلا في تكوين الطلبة، وينمي قدراتهم في عدة مجالات تهم العلوم الاجتماعية بوجه عام، والباحثين في جغرافية الأرياف بوجه خاص.

---

14. ارتفاع نسبة الأجانب والتحرير باللغات الأجنبية تبررها المشاركة المهمة للباحثين الأجانب في الندوة الدولية المنظمة بشراكة مع الإتحاد الجغرافي العالمي (UGI)، المنشورة سنة 2011.

تهيئة وتنمية المجالات الفلاحية بالمغرب
بين مخلفات الماضي ورهانات المستقبل

المختار الأكحل*

ملخـــص:

في سياق التحولات الوطنية والعالمية، أصبح من الضروري التخلص من سلبيات الماضي وإعادة توجيه المخططات المستقبلية للتهيئة والتنمية بالمجال الفلاحي نحو ما من شأنه أن يبعث الحيوية في هذا المجال ويضمن السيادة الغذائية الوطنية، ويحقق العدالة الاجتماعية والترابية بالبوادي، ويحد من الهجرة نحو المدن. ولبلوغ هذه الأهداف، نقترح في هذا المقال اعتماد مقاربة مجالية للفلاحة أو الجهوية الفلاحية التي تنبني على ملاءمة التدخلات مع الخصوصيات والإمكانات الطبيعية والبشرية لكل جهة، في إطار البحث عن التكامل ونوع من التوازن بين مختلف الجهات. ثم منح، موازاة مع ذلك، ما يكفي من الاهتمام للفلاحة العائلية التي تشكل نموذجا للإنتاج يتميز بقدراته على التجديد والتأقلم وتثمين المؤهلات المحلية، إضافة إلى تعدد مزاياه الاجتماعية والاقتصادية والبيئية التي يتعين دعمها. هذه الاختيارات الاستراتيجية من شأنها أن تساعد المغرب على الوصول إلى فلاحة متعددة ومتجذرة في التراب ومستدامة.

كلمات مفتاحة: المغرب، التهيئة والتنمية الترابية، المجالات الريفية، المجالات الفلاحية، الجهوية الفلاحية، الفلاحة العائلية.

Résumé :

Dans le contexte des changements nationaux et internationaux, il est impératif de se débarrasser des faits négatifs du passé, et de réorienter les futurs plans d'aménagement et stratégies de développement des espaces agricoles vers ce qui va créer la vitalité dans ces espaces, garantir la souveraineté alimentaire du pays, établir la justice socio-spatiale dans les campagnes et limiter les flux migratoires vers les villes. Pour réaliser ces objectifs, nous proposons dans cet article, une approche spatiale pour l'agriculture, prônant une régionalisation agricole, basée sur l'adaptation des interventions aux spécificités locales et aux potentialités naturelles et humaines de chaque région. Le but étant, d'atteindre la complémentarité, et l'équilibre entre les différentes régions. A ce propos, l'agriculture familiale, constitue un modèle de production, plus durable, grâce à ses capacités d'innovation, d'adaptation et de valorisation des potentialités locales. En même temps, elle présente plusieurs opportunités et atouts socio-économiques et environnementaux qu'il faut appuyer et capitaliser. Ces options stratégiques peuvent aider le Maroc à intégrer une agriculture plurielle ancrée sur le territoire, et durable dans son environnement.

Mots clés : Maroc, aménagment et développement territoriaux, espaces ruraux, espaces agricoles, la régionalisation agricole, l'agriculture familiale.

---

* أستاذ باحث، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدارالبيضاء، عضو مؤسس لمجموعة البحث حول الأرياف.

مقـــدمـــة

لقد تحكم الإرث الاستعماري في السياسة الفلاحية المغربية؛ إذ تبنت الدولة بعد الاستقلال تخطيطا للتنمية الفلاحية ظل يخضع في توجهاته العامة لتنظير انتقائي، سواء على مستوي المناطق أو على مستوى الاستغلاليات والمنتوجات. فقد انصب الاهتمام على المجالات السهلية، في حين أهملت المرتفعات الجبلية، وفي نفس الوقت تم تدعيم الاستغلاليات الرأسمالية بالمجالات المسقية على حساب الاستغلاليات المعيشية بالمجالات البورية، ومنحت الأسبقية لمنتجات التصدير، وأهملت المنتجات الرئيسية في الاستهلاك المحلي؛ كل ذلك تم في إطار التركيز على الأهداف الماكرو-اقتصادية على حساب الجوانب الاجتماعية، مما خلق فلاحة وطنية تسير بوتائر شديدة التباين، ومن ثم تعميق الاختلالات الموروثة على مستوى البنيات الفلاحية والاجتماعية والمجالية بالأرياف، سواء على المستوى الوطني أو الجهوي والمحلي.

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار السمات الكبرى للسياسات والتدخلات العمومية الانتقائية في ميدان التهيئة والتنمية المتبعة بالمجالات الفلاحية، ثم إبراز أهم الآثار المترتبة عنها على صعيد المجالات الفلاحية والأرياف المغربية بوجه عام، مع الوقوف عند أهم المرتكزات النظرية والإجرائية للتهيئة والتنمية الترابية المستدامة بالمجالات الريفية، ثم تقديم اقتراحات في ميدان التهيئة والتنمية، التي من شأنها أن ترقى بمستويات النجاعة والمردودية الاجتماعية والاقتصادية والبيئية بهذه المجالات، ويتعلق الأمر أساسا بالدعوة إلى تبني السياسة الفلاحية الجهوية ودعم الفلاحة العائلية.

وقد اعتمد في انجاز هذا المقال على أعمال أكاديمية [1] ومؤشرات مستوحاة من مقابلات وملاحظات ميدانية جمعت في إطار أبحاث علمية شخصية أو في سياق تأطير البحوث الجامعية للطلبة.

1. عيوب التنظير الانتقائي في ميدان التهيئة والتنمية الفلاحية بالمغرب وأبرز تداعياته الميدانية

من العيوب النظرية والأخطاء المنهجية في ميدان التهيئة والتنمية الفلاحية والتخطيط لتنمية المجالات الريفية بوجه عام منذ بداية الاستقلال، هي هيمنة المنظور المركزي والإداري، وطغيان المقاربة النمطية التي لا تراعي الخصوصيات المحلية، وتفتقر إلى التلمذ على الميدان عن طريق التشخيص العلمي الدقيق للواقع المحلي بكل أبعاده، والإصغاء للساكنة المحلية وإشراكها الفعلي في جميع مراحل بناء

1. يمكن الرجوع على سبيل المثال إلى :

- Renard, J., 2005, Les mutations des campagnes. Armand Colin, Paris. 221 p.
- Lazarev, G., 2012, Les politiques agraires au Maroc 1956-2006. El Maarif Al Jadida, Rabat 232 p.
- Kerzazi, M., et Lakhal, M. (Coordinateurs), 2005, Dynamique des espaces agricoles au Maroc. Pub. de la FLSH Rabat, Série: Colloques et Séminaires, n° 121; Najah El Jadida, Casablanca, 404 p.

وإنجاز أي مشروع. فضلا عن عدم الانطلاق من النظرة المتساوية القيمة لكل المجالات الريفية، واعتماد التوجه القائم على الانتقاء المجالي والبحث عن الفعالية الاقتصادية القطاعية، دون الاكتراث بالفعالية الاجتماعية وبالتوازنات الجغرافية. علما بأن التوجه القائم على الانتقاء المجالي لا يستند على أسس علمية، إذ لا توجد في الأصل مجالات غنية وأخرى فقيرة، لأن الموارد، التي على أساسها يحدد الغنى، لا تتوفر بشكل مطلق في الطبيعة، بل يجب خلقها أو البحث عنها. فمن المستبعد أن تتوفر كل الموارد بشكل طبيعي داخل إطار مجالي معين لتجعل منه أصلا، مجالا غنيا بكل المواصفات والمقاييس. فالصراع حول امتلاك وسائل الإنتاج والخيرات والرموز والسلط وما يرافق ذلك من رهانات وتباينات في موازين القوى داخل أجهزة الدولة والمجتمع هو الذي يستقطب الغنى أو الفقر، ويضعهما بشكل متمايز فوق المجال ويعطينا مجالات غنية وأخرى فقيرة.

وفي هذا السياق، يندرج التفاوت والتعارض الموجود في المغرب بين فلاحة رأسمالية متمركزة بالدوائر المسقية المؤطرة، والتي ما فتأت تتلقى مختلف أوجه الدعم من الدولة، وفلاحة عائلية يتمركز أغلبها بالمناطق البورية المهمشة على عدة مستويات، والتي ضاعف من أعبائها ومعاناتها منذ مطلع ثمانينيات القرن الماضي تواتر سنوات تميزت بالجفاف الحاد.

ومن أبرز نتائج هذه الوضعية بالأرياف المغربية، تذبذب الإنتاج الفلاحي الذي لا يلبي الحاجيات الكمية والنوعية لساكنة في تزايد مستمر، وتنامي مظاهر التهميش والهشاشة كالفقر والبطالة والامية والعزلة... ومن ثم، تعميق الهوة بين البوادي والمدن، ترتب عنه تسارع في وتيرة الهجرة الريفية خلال العقود الثلاثة الأخيرة،(www.rdh50.ma). ومن نتائج هذه الهجرة المكثفة، الفراغ السكاني في أجزاء من المجالات الفلاحية والريفية عموما، مقابل ثقل ديمغرافي تتزايد أهميته في أغلب المدن الكبرى، ولا سيما في هوامشها. وقد ترتبت عن ذلك تداعيات وصعوبات كثيرة، وخاصة على صعيد السيادة الغذائية للبلاد ورفع التحديات التي تفرضها العولمة والمحافظة على البيئة (Brunel, S., 2008, pp. 14 -30)، وعلى صعيد التوازن والتكامل داخل التراب الوطني، مما يطرح مشاكل متجددة تهم التهيئة والتنمية، سواء بالبوادي أو بالمدن.

2. أهم المرتكزات النظرية والإجرائية للتهيئة والتنمية الترابية المستدامة بالأرياف

إن التهيئة الترابية هي سياسة للتنمية العادلة والمتوازنة والمتضامنة لوحدة ترابية معينة. فهي أداة تدخلية لتصحيح الاختلالات الاجتماعية والمجالية، ووسيلة للاستغلال العقلاني والمستديم للموارد والثروات. كما توكل لهذه السياسة مهمة صيانة الموروث الحضاري للبلاد، الذي يشكل المرتكز الأساسي لهوية وأصالة المجتمع.

وبما أن الهدف الرئيسي لسياسة إعداد التراب هو توفير شروط العيش الكريم وصيانة حقوق كل أفراد المجتمع، فإن نجاح أي مشروع للتهيئة الترابية رهين بتحقيق أهداف فرعية، تتمثل في إشراك وتعبئة كل الأطراف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ثم ترسيخ الممارسة الديمقراطية

السليمة، وتثبيت مبادئ وقيم المواطنة الفاعلة والحكامة الجيدة، بالإضافة إلى تمتين دولة الحق والقانون بمؤسسات تتميز بالنجاعة، وتحظى بثقة كل أفراد المجتمع، تحفزهم على المشاركة في الحياة العامة، والانخراط في بناء مسلسل التنمية المنشودة.

فما هي أهم المؤشرات والمعايير التي نحكم بمقتضاها على أن مجالا ريفيا معينا قد تحققت فيه أهداف التهيئة والتنمية الترابية المستدامة ؟

- **أولا**: أن تكون بنيته المجالية ومنظومته البيئية متوازنة ومشهده متناسقا، وأن يكون موروثه الطبيعي وتراثه الحضاري، المشيد وغير المشيد، مصانا بما فيه الكفاية؛
- **ثانيا**: أن يتوفر على نجاعة اقتصادية متمثلة أساسا في نمو إمكانيات وفرص الاستثمار، وتنوع الأنشطة الاقتصادية، وأن يساهم بفعالية في ضمان السيادة الغذائية الوطنية؛
- **ثالثا**: أن يحس كافة أفراد المجتمع داخل مجالهم المعيش بالاستقرار، بكل أبعاده، نتيجة تطبيق عدالة اجتماعية تضمن التوزيع المنصف للثروات والولوج الواسع للخدمات وتكافؤ الفرص بين الجنسين وبين كل الفئات الاجتماعية؛
- **رابعا**: وجود، نتيجة لما سبق، آثار ميدانية ملموسة تتمثل في انخراط السكان الإيجابي والفعال في مجهودات التنمية المحلية ومشاركتهم الواسعة في الحياة العامة، وما يتبع ذلك من تراجع واضح في الفقر وفي الهجرة إلى المدينة، وخاصة هجرة الشباب، ومن ثم، الحد من الاختلالات المجالية محليا وجهويا ووطنيا.

وبخصوص المجالات الفلاحية المغربية، وبالنظر إلى صيرورة التحولات المحلية التي تتقاطع مع التغيرات (الاقتصادية والمناخية) العالمية، فقد أصبح من الضروري إعادة توجيه برامج ومخططات التهيئة والتنمية نحو ما من شأنه أن يبعث الحيوية في هذه المجالات، بإرساء هذه البرامج والمخططات على أسس صلبة، من أجل تحقيق الأهداف والمعايير السالفة.

وللمساهمة في بلورة استراتيجيات التدخل ضمن برامج التهيئة والتنمية بالمجالات الفلاحية، نقترح اعتماد مقاربة مجالية للفلاحة أو الجهوية الفلاحية التي تنبني على ملاءمة التدخلات مع الخصوصيات والإمكانات الطبيعية والبشرية لكل جهة، في إطار البحث عن التنوع والتكامل ونوع من التوازن داخل الجهة نفسها، ثم بين مختلف الجهات، مع منح ما يكفي من الاهتمام للفلاحة العائلية، لما تقدمه من مزايا اجتماعية واقتصادية وبيئية.

3. التوجهات الفلاحية المجالية: خيار استراتيجي لتنويع وتطوير الانتاج الفلاحي

إن التباين في الظروف الطبيعية بين مختلف أرجاء البلاد المغربية تبعا للموقع من خطوط العرض والقارية ونوعية التضاريس...، عوامل تتداخل مع معطيات بشرية لتحدد نوعية الموارد والإمكانيات الفلاحية لمختلف الوحدات الترابية. وبناء على ذلك، يمكن التمييز بين عدة وحدات مجالية تفرض

نفسها كمجالات جغرافية كبرى متمايزة، تشكل مكونات توازن وتماسك التراب الوطني، وهذه المجالات من منظورنا هي: السواحل والجبال والدوائر المسقية المؤطرة والمجالات البورية والمجالات الواحية وشبه الصحراوية والصحراوية.

علما بأن داخل كل وحدة من هذه الوحدات المجالية الكبرى، توجد وحدات صغرى محلية، قد تتشابه في الخصائص والمقومات الطبيعية العامة، وقد تختلف على صعيد المؤهلات الإنتاجية والإمكانات البشرية والاقتصادية. مما يجعلها وحدات صغرى متفردة تشكل روافد متجددة للوحدات الكبرى، وجب تثمين مؤهلاتها الإنتاجية وإمكاناتها، باعتماد نظام فلاحي متنوع ومتناسق مع الخصوصيات المحلية.

إن التمييز بين وحدات مجالية كبرى وصغرى، لا يعني اعتماد مقاربة تجزيئية لسياسات الإعداد والتنمية الترابية، وإنما تفرضه ضرورة تكييف وملاءمة أنظمة الإنتاج النباتي والحيواني مع المؤهلات والخصوصيات الجهوية والمحلية، في إطار استراتيجية شمولية لإعداد التراب الوطني، تتضمن مخططات توجيهية لسياسات التنسيق والإدماج الأفقي والعمودي لمختلف التدخلات المقررة على صعيد كل وحدة مجالية متجانسة ومتفردة (الجهة الموسعة، الجهة الصغرى، الجماعة القروية). مع التأكيد على أن التكييف والملاءمة لا يعني التخصص الذى يمكن أن يؤدي إلى نتائج سلبية، خاصة على الموارد الطبيعية، وأساسا التربة والماء.

ومما يعزز هذا التوجه المجالي لتهيئة المجالات الفلاحية، هو أن الأبحاث المتقدمة في ميدان البيوتكنولوجيا بالمغرب قد فتحت آفاقا واعدة فيما يخص ابتكار وتطوير أصناف نباتية متلائمة مع مختلف الوحدات البيومناخية. فضلا عن اعمال التأطير والبحث التي تقوم بها مختلف الأطراف التي لها علاقة بتدبير وتنمية القطاع الفلاحي (مكاتب ومديريات ومعاهد فلاحية ...) من أجل تثمين وتطوير المكتسبات المحلية والجهوية المتعلقة بمهارات وتقنيات الإنتاج التي يتوفر عليها المنتجون الفلاحيون.

كما أن المتطلبات الخاصة بجودة المنتوج وبتخفيض تكاليف الإنتاج في سياق المنافسة داخل السوق الوطنية والدولية تستدعي التميز في إنتاج محاصيل أكثر جودة وأكثر ارتباطا بالمؤهلات الطبيعية وبالمهارات البشرية المحلية.

كل هذا من شأنه أن يساهم، إذا تظافر مع عوامل أخرى (سياسية وتدبيرية...)، في وضع أسس قوية لأنظمة إنتاج نباتية أو حيوانية أو مختلطة محلية وجهوية يطبعها الابتكار المتجدد والقدرة على الاستمرار.

لكن التوجه المجالي للسياسة الفلاحية يجب أن يرتكز مسبقا على التشخيص الدقيق لإمكانات وإكراهات التهيئة والتنمية جهويا ومحليا. كما أنه رهين بضرورة تحسين ظروف العيش والاستقرار بالأرياف، عن طريق القيام بتدابير كبرى، وفي مقدمتها إصلاح النظام العقاري، وتدارك الخصاص الكبير في البنيات التحتية، وتأهيل السكنى والسكن بالوسط الريفي، ثم تكوين الخلف بالنسبة للفلاحين، وخلق الشروط الضرورية لمزاولة التأطير التقني الناجع، وإرساء أنظمة للتمويل والتسويق

منصفة وقريبة من الفلاحين، وتشجيع التنوع فيما يخص الأنشطة الاقتصادية التي تتكامل مع النشاط الفلاحي، فضلا عن العناية بالفلاحة العائلية.

4. الفلاحة العائلية: دعامة كبرى للتنمية الريفية المستدامة

الفلاحة العائلية هي نمط للإنتاج يتمحور حول أنشطة فلاحية يقوم بها أفراد العائلة. وتتضمن علاقات مؤثرة في مسلسل اتخاذ القرار، خاصة ما يتعلق بتنظيم وتوزيع العمل والأدوار بين أفراد العائلة، وتدبير عوامل الإنتاج (الأرض، الماء، التجهيزات، القروض...) والعلاقات مع السوق، وتداول الإرث العائلي (www.coordinationsud.org) ، فضلا عن تطويرها للعلاقات التضامنية داخل المجتمع، ومن ثم، فهي تحافظ على التماسك الأسري والاجتماعي بالوسط الريفي (Kradi, C., 2012, p185).

لكن هناك نظرة سلبية تجاه الفلاحة العائلية مفادها أن هذه الفلاحة عتيقة لا تساير التطورات التقنية العصرية. بينما هي في الواقع، فلاحة جد متنوعة، ننتقل فيها من فلاحة متخلفة تعتمد على أساليب وتقنيات إنتاج بسيطة ضمن مساحة محدودة، إلى فلاحة تقوم على أساليب وتقنيات متطورة فوق مساحة كبيرة. وتنوع الفلاحة العائلية يعود لأسباب طبيعية وتاريخية واجتماعية واقتصادية. فالفرق الجوهري بين الفلاحة العائلية والفلاحة الرأسمالية، هو أن الأولى تعتمد على العمل العائلي بالدرجة الأولى، وعلى التضامن بين أفراد المجتمع ضمن ما يسمى بالاقتصاد الاجتماعي، في حين تعتمد الثانية أساسا، على العمل المأجور، وتهدف إلى تحقيق الربح المادي القائم على المنطق المحاسباتي.

وإذا كانت الفلاحة الرأسمالية تقوم على الاستعمال المكثف للمكننة المتطورة التي تقصي أكثر ما يمكن من اليد العاملة، وتميل إلى التخصص في عدد محدود من المنتوجات، فإن الفلاحة العائلية تتبنى التقنيات (أدوات وأساليب عمل) التي تسمح بتشغيل أكثر ما يمكن من اليد العاملة العائلية، وفي نفس الوقت، تنوع المنتوجات. ومن ثم، فإنها تساهم في حماية التنوع البيولوجي، ولا تضر كثيرا بالبيئة، لأنها تستعمل المخصبات والمبيدات الكيماوية باعتدال، إضافة إلى أنها تتكيف بمرونة مع التقلبات المناخية والاقتصادية. ومن جهة أخرى، فإن الفلاحة العائلية تعمل على تمديد فترة الأشغال الفلاحية، مانحة بذلك فرصا إضافية للعمل. فمن الإيجابيات الكبرى لهذا النوع من الفلاحة كونها تخلق مناصب الشغل بالبادية. ولذلك فهي تساعد على التقليص من حجم البطالة، وبالتالي تساهم بفعالية في التخفيض من الهجرة القروية. فضلا عن كونها تمنح إمكانيات لتدعيم الاقتصادات المحلية، معززة بذلك مكانة الفلاحة ضمن الاقتصاد الوطني.

خلاصـــة

إن التحديات التي تواجه التنمية الفلاحية بالمغرب ليست تحديات تقنية أو قطاعية بقدر ما هي تحديات مترابطة: تخطيطية، مؤسساتية، اجتماعية... ويزداد ثقلها بتنامي حاجيات المجتمع في ظل التحولات المتسارعة المحلية والوطنية المصحوبة باحتداد المنافسة لمجابهة رهانات الجودة التي تفرضها عولمة الاقتصاد... ولذلك، فهي تحديات لا تقبل الارتجالية والانتقائية في اتخاذ القرارات والتدخلات، مع التركيز على الأبعاد الاجتماعية في مخططات التهيئة والتنمية الريفية، حتى لا تضطر فئة واسعة من الفلاحين إلى الانسحاب من النشاط الفلاحي، وحتى لا تستمر المجالات الريفية في طرد السكان من الجنسين ومن مختلف الأعمار إلى المدن (Lakhal, M., 2010, pp15 -24) ليعززوا بها صفوف العاطلين. بل لتكون وظيفتها الأساسية هي إدماج مجموع السكان المحليين في مركب إنتاجي متكامل ومتجاوب بديناميكية مع الواقع المحلي، بكل مضامينه وأبعاده، مع التوزيع العادل لتكاليف الإنتاج وفوائده؛ الأمر الذي من شأنه أن يكفل لسكان الأرياف الاستقرار على عدة مستويات ويضمن مشاركتهم الواسعة في التنمية الريفية المنشودة.

البيبليوغرافيا

- Brunel, S., 2008, La nouvelle question alimentaire. Hérodote, N° 131, 4ème trimestre.
- Kerzazi, M., et Lakhal, M., (Coordinateurs), 2005, Dynamique des espaces agricoles au Maroc. Pub. de la FLSH Rabat, Série: Colloques et séminaires, n° 121; Najah El Jadida, Casablanca.
- Kradi, C., 2012, L'agriculture solidaire dans les écosystèmes fragiles au Maroc. Pub. de l'Institut National de la Recherche Agronomique, Rabat.
- Lakhal, M., 2010, «L'expansion urbaine et nouveaux aspects de ruralités au Maroc», In: L'urbanisation des campagnes au Maroc. Coordination: Kerzazi Moussa. Pub. de la FLSH, Rabat, Série Colloques et Séminaires, n°162. Najah El Jadida, Casablanca.
- Lazarev, G., 2012, Les politiques agraires au Maroc 1956-2006. El Maarif Al Jadida, Rabat.
- Renard, J., 2005, Les mutations des campagnes. Armand Colin, Paris.

الويبوغرافيا

- www.rdh50.ma
- www.coordinationsud.org/agriculture familiale